((فـــوق)) المقيدة والمطلقة في القرآن الكريم
دليل إعجازي

أ.د. عائد كريم علوان الحريزي
جامعة الكوفة – كلية الآداب

فوق في القرآن الكريم

فوق ظرفُ مكان مبهمٍ أي غيرُ محددٍ المسافة، قد يكونُ الشيءُ ملاصقاً معه لِما تَحتَهُ، وقد يَبُعُد عنه قليلاً، وقد يبعد أميالاً، وقد يكون البعد هائلاً يحسب بالسنوات الضوئية، أو لا يستطاع حسابه حتى بها، ولا يعرف مداهُ إلاّ الله سبحانهُ، ... و ((من)) حرفٌ لابتداءِ الغاية فقطْ عند بعض النُحاةِ، ولها وللتبعيض عند آخرين، أَوْلهُ معانٍ عديدة على مذهب ثالثٍ ... وقد جاءت ((فوقُ)) في القرآن الكريم اثنين وأربعين مرة، مقيدة بمن ومصاحبة لها تارةً، ومطلقة غير مصاحبةٍ تارةً أخرى، وهي بتجردها ومصاحبتها محسوبة بحسبان دقيق لا يجوز غيره،ومقسمة على ثلاثة أقسامٍ :-

أ – قسمٌ تجب فيه ((منْ)) قصداً للملامسةِ والملاصقة والقرب الشديد، والفوقية المقابلةِ جداً لما تَحتها .

ب – قِسمٌ لا تُجوز فيهِ ((منْ)) أبداً لأنّ المعنى يأباه، وطبائعَ الأشياءِ بِخلافهِ .

ج – قِسمٌ يجوز فيه الأمرانِ، لهذا المعنى أو ذاك بحسب المعنى المراد .

أولاً : مواضعُ مجيء ((مِنْ))

وردتْ ((مِنْ)) داخلةً على ((فوق)) أربعَ عَشرةَ مرة هي :-

١ – ((مِنْ)) قاعدة لبناء الأبنية ذات الطابقين أو أكثر، قال تعالى ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ اتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ الزمر /20في هذه الحالة تجب ((مِنْ)) ولا يجوز حذفها؛ لأنّ الغرف في الطابق الثاني مرتكزة على غرف الطابق الأول وملامسة لها، ومستندةٌ إليها، غيرُ مفصولة عنها، ولا طائرة في الفضاء، ومن غير هذا لا يكون البناء وقال تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا ﴾فصلت/ 10 ((مِنْ)) في هذه الآية واجبة الذكر، وما قلناه في الآية السابقة يقال في هذه الآية؛ لأنّ الجبال لابد أن تكون ملامسة لسطح الأرض بل غائصة في أعماقها، وقدّر العلماء غوص الجبال أو جذورها تحت سطح الأرض بأربعة أمثال علّوها، فالجبل الذي آرتفاعه الف قدم يكون جذره في الأرض أربعة آلاف قدمٍ .

٢ – ((مِنْ)) تقطع دابر الشرك، قال تعالى : ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾ابراهيم/26 هذه الآية يجوز فيها حذفُ ((مِنْ)) لمعنى، وذكرها لمعنى، فإذا حذفت ((مِنْ)) لا نعلم مقدار بعد الشجرة عن الأرض الذي قُطعت منه أهو ملامس للأرض أم فوقها بقدم أو بعدة أقدام أو أكثر أو أقل ؟ ولكنّ ((مِنْ)) حددت لنا مكان القطع؛ إذ هي قطعت من المكان الذي هو ملامس للأرض، لم يبق منها شيء، وكذلك الكلمة الخبيثة لم يبق لها ذكر، ولا ذاكر، ولا نصير، ولا حتى مَنْ يقولها، ولو لم تُذكر ((مِنْ)) لما تأتّى هذا المعنى، وقد يتصور أنّ الكلمة الخبيثة بقي منها شيءٌ كما بقي من الشجرة شيءٌ ... إذن ((مِنْ)) لهذا المعنى الذي أراده القرانُ واجبةُ الذِكر، وفي غيره ليستْ واجبة ...

٣ – ((مِنْ)) يُصاب بها الهدف و يُزاد العذاب قال تعالى ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾النحل/26 أي سقط عليهم سقف بنيانهم، وقال ابن عطية وابن الاعرابي : "إنّ – من فوقهم " ليس بتأكيد، لأن العرب تقول خرّ علينا سقف، ووقع علينا حائط إذا

أنهدم ملك القائل وإن لم يقع عليه حقيقة (روح المعاني 366/7) و ((مِنْ)) تدل على أنهم يسكنون الدار عند سقوط السقف عليهم، وأن سقوطه جاء مباشرة على رؤوسِهم، ولو حُذفِتْ لما كان هذا المعنى، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الحج/ 19 فمن فيها يجوز ذكرها وحذفها، ولكنها واجبة الذكر للمعنى الذي أريد، وهو أن صبّ الحميم قريب منهم، ولا يخطئ رؤوسهم وهذ الملامسة، والدقة في الصب مناسبة لملابسهم المقطوعة من النار التي لبسوها، ولامست جلودهم، و باشرتها، وكلها تعطي صورة إنسان لبس النار ثوباً، والحميمُ يُصب مِنْ فوق رأسهِ مباشرة وملامسة وقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الأنعام/ 65 ((مِنْ)) في مثل هذه الحالة يجوزُ حذفُها، وذكرُها، ولكنها واجبةُ الذِكر هنا للمعنى الذي أراده القُرآنُ، وهو الدلالة على إصابة الهدف والقرب منه .

٤ – ((مِنْ)) تحدد المسافات، قال تعالى ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ النور/ 40 ... ((مِنْ)) في "يغشاهُ موجٌ مِنْ فوقهِ مَوْجٌ" تصور أن الأمواج في الطبقتين الأولى و الثانية متقاربة جداً ومتلامسة، و((مِنْ)) في "من فوقه سحابٌ" تُحدد أنّ السحابَ الذي هو بُخارُ الماءِ ملامس للموج الأول الأعلى وحذف ((من)) في " ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ" يُشير الى عمق البحر وظلماته، ولو جاءت ((مِنْ)) لقصر عمقُ الظلمات، وبُعدها وهو عكس المراد.... وقال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النحل/ 50 ((مِنْ)) تُصور لنا قرب الرب من عباده، وأنه أقربُ من حبل الوريد ... وبقية الآيات كلها تدل على القرب والملامسة، فتأمل ذلك فإنها معانٍ حلوةُ المذاق، جميلةُ الشكل، لا يجوز غيرها أبداً، إنها كلام ربٍ .

ثانياً : مواضع حذف ((مِنْ)) أو عدم ورودها أصلاً :-

جاءت ((فوقُ)) مطلقةً غير مقيدة بـ((مِنْ)) في القرآن الكريم في ثمانيةٍ وعشرين موضعاً هي:-

١ – حذف ((مِنْ)) يحافظ على حياة الطير، وحريته، عنوان غريب أليس كذلك ؟ إذن آسمع قوله تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ...}الملك/19 في هذه الآية لا يجوز ذكر ((من)) ابداً؛ لأن الطير يطير في الفضاء بعيداً عن رؤوس الناس ولو وجدت ((مِنْ)) لكان الطيران ملامساً للرؤوس، وهذا غير مناسب ولا معقول، ولا مقبول، بل لو كان هذا لأنقرض الطيرُ؛ لأنه في متناول الناس يمسكونه أو يحبسونه، ويأكلونه في كل حين، ومتى شاءوا، وعليه فحذف ((من)) هذه حافظ على حياته، وحريته .... ، وبالمناسبة ((صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ)) يمثلان هيئة الطيران في انقباض الأجنحة وانبساطها وقال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ ق/6 ،إطلاق ((فوقهم)) يدل على بعد المسافة بينهم وبين السماء، ويُشيرُ إلى أنّ كلّ ما علاكَ هو سماءٌ غيرُ محددة بمسافة، ولا يجوز ذكر ((من)) هنا مطلقاً؛ لأنّ وجودها يجعل السماء ملامسة لهم و بها تنعدم الحياة نتيجة للجاذبية، و لقساوة الحالة الجوية في انخفاض حرارتها أو شدة حرها، و انعدام الهواء .

٢ – قال تعالى : ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ يوسف/36 قد يقول المرء : إنّ وجود ((من)) خيرٌ من عدمها في هذه الآية؛ لأنّ الحِملَ لابدَّ أن يلامس الرأس، ولكن المتدبر يرى غير ذلك لسببين:-

٣ – إنّ ((فوق)) مجردة تدل على الملامسة وعدمها

٤ – إنّ الله سبحانه يُريد أن يُعلمنا طريقة الحمل، والوقاية منه، وهو أَنّ الذي يحمل فوقَ رأسه شيئاً لابد أنْ يضع بينه وبين الحِملِ وقاية تُحفِف الحمل، وتقيه منه، ثُقلاً أو حرارة، أو برودة، وحذفُ ((مِنْ)) أشار إلى هذا المعنى، معنى وجود الواقية كما نراها اليوم عند الحمالين ...

٥ – قال تعالى : ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ الدخان/ 48 حذفت ((مِنْ)) في هذه الآية، ولم تذكر كما ذُكرت في قوله تعالى ((يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ)) وقوله تعالى ((فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ)) وقوله ((قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ))... وسبب الحذف أمران هما :

٦ – فوق مجردة قد تدل على الملامسة كما قلنا سابقاً .

٧ – حذفت لجمال شكلي هو تجنبُ التكرار لأنها وردت في ((مِنْ عذاب))

٨ – قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. . . ﴾الأنعام/ 18 مجيء ((فوق)) مطلقة يدل على العظمة، وعلى ارتفاعه، وسموه ويدل على فوقية مطلقة لا حدود لها، وهي تدل على القربأيضاً، فالله تعالى يجمع بها صفتين هما القرب والعلو، فهي مع الكفار مجردة وهي مع المؤمنين مقيدة بـ((مِنْ)) قال تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ النحل/ 50 دليل على قرب الله من المؤمنين، وابتعاده عن الكافرين وجبروته عليهم وقهره إياهم، وهذا ما رسمتهُ ((فوق)) في تجردها وإطلاقها مرة وتقييدها بـ((مِنْ)) مرة ثانية

٩ – قال تعالى : ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾ الأنفال/ 12 ((وفوق)) جاءت مجردة؛ لأنّ الله يريد أن يرشدهم الى الضرب الموجع القاتل، ولو قال لهم ((من فوق الأعناق)) لحدد لهم مكان الضرب ولا تجوز مخالفته، ومِنْ لا يفعل ذلك يُعدّ آثماً، وهذا لا يقدر عليه المسلمون في تلك المواقف الضنكى التي تضيق فيها الأرض، وتشخص الأبصار، وتجف الحناجر، ويكفي إنها مواقف رعبٍ وموتٍ، ودمٍ وسيوفٍ ورماح

١٠ –قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ النساء/ 154 وقال أيضاً : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ البقرة/ 63 وقال سبحانه ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾الأعراف/171 أطلقت ((فوق)) في هذه الآيات الثلاث لسببين :

١١ –إن الملامسة غير مطلوبة، والبعد هو المطلوب ليكون الجبل كالبيت لهم، ولكون ارتفاع الجبل دليلاً على طلاقة القدرة .

١٢ –انهم إن لم يمتثلوا لمراد الله يسقط الجبل عليهم، وتكون ضربتهُ أقوى وأدهى لمجيئه من مكانٍ عالٍ، .... وفوق المجردة في المواضع الباقية تدل على فوقية عددية أو صوتية او معنوية أو مكانية لا تجوز معها ((مِنْ)) للمعنى الذي يريده القرآن في سياقها

Abstract

The preposition "from" Suggests only a place of destination according to some linguists. It suggests the beginning of an event relate to the noun comes after it. Therefore, it restricts unbounded adverb. When we say "the book is above the table" "above" may mean in Arabic either attached to the table or detached from the table in a short or long distance. The Holy Qura'an uses this phenomenon in an ultimate accuracy. This research handles this subject. It is like: "from above the mountains" and "the sky above them".